دار الكتاب الصوفي
تقدم لك

الخمر
رجس من عمل الشيطان

للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية
بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض



الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله فى ملكه مقيم ، وفى سلطانه قديم ، وفى جلاله عظيم ، وعلى عباده رحيم ، وبمن عصاه حليم ، وبمن رجاه كريم ومن هو فى صنعه حكيم ، وبكل شىء عليم .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلاة تحفظنا بها فى قولنا وعملنا وحالنا من المخالفة لحضرته المحمدية ، وتحصننا بها عن الميل إلى ما يؤدى إلى البدع والتشبه بالصفات الإبليسية ، صلاة تيسر بها أرزاقنا ، وتشرح بها صدورنا ، وتقهر بها أعداءنا ، وتقضى بها حوائجنا ، وتشف بها مرضانا ، وترحم بها موتانا ، صلاة تفك بها من الشهوة قيودنا ، ومن الغفلة وثاقنا وتحفظنا بها من شر خلقك ومن شر الدنيا والآخرة يارب العالمين . وعلى آله الطيبين الطاهرين من أولياء الله وأصفيائه ، وأمناء الله واحبائه ، وأنصار الله وخلفائه ، ومحال معرفة الله ، ومساكن ذكر الله ، وعلى صحابته الهادين المهديين ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم الداعى إلى الله المستقر فى مرضاه الله ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبو العزائم المخلص فى طاعة الله والدليل على الله . حشرنا فى زمرته وارضاه عنا ، وأوردنا فى حوضه ، وأعزنا بهداه ، وأبلغ روحه وجسده عنا تحية كثيرة وسلاما دائما أبدا يارب العالمين .

وبعد فتقدم دار الكتاب الصوفى ـ وهى إحدى أوجه نشاط مشيخة الطريقة العزمية « كتاب الخمر رجس من عمل الشيطان » للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم . وهى رسالة وجيزة عن الخمر نبعث بها لإخواننا آل العزائم خاصة وللمسلمين عامة .

والخمر منقول من مصدر خمر الشيء ، بمعنى ستره وغطاه ، وخمرت الجارية ألبستها الخمار ، والوجه فى النقل أن هذا الشراب يستر العقل ويغطيه .

والرجس كلمة تدل على منتهى القبح والقذارة ، وعلى النجاسة الحسية والمعنوية ، ونسب سبحانه وتعالى شرب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وغيرها ... إلى الشيطان لأنه يجندها ويغرى بها ، وضمير اجتنبوه يعود إلى الرجس وهو أمر بالاجتناب ، والأمر يدل على الوجوب خاصة عند بيان السبب وقد بين سبحانه وتعالى أن سبب وجوب الاجتناب هو الفلاح .

ولو لم يكن من دليل على تحريم الخمرة إلا مساواتها مع عبادة الأصنام لكفى فكيف إذا عطفنا عليها الآية ٢١٩ من سورة البقرة والآية ٣٢ من سورة الأعراف والأحاديث المتواترة ، وإجماع المسلمين !!

على أن الخمر من الكبائر وأن من استحلها فليس بمسلم ، ومن ارتكبها متهاونا فهو فاسق ، ويجلد ثمانين جلدة .

وقد تواتر عن الرسول ﷺ أن لعن غارسها ، وعاصرها ، وبائعها وشاربها وساقيها وشاريها .

وفى بعض الأخبار أو الأوثار : إن مامن شريعة سماوية إلا ونهت

عن الخمر ويظهر ضرر الخمر فى الجسم والعقل والمال ، وفى الصد عن ذكر الله ، وفى الخصومات والمشاحنات ، وفى إرتكاب المحرمات .

فقد روى أهل السير أن بعض السكارى نزا على إبنته . وكان العباس ابن مرداس رئيساً فى قومه فى الجاهلية وقد حرم الخمر على نفسه بفطرته ، ولما قيل له فى ذلك قال : ما أنا بآخذ جهلى بيدى ، فادخله جوفى . ولا أرضى أن أصبح سيد قوم ، وأمسى سفيههم . وقال طبيب ألمانى إقفلوا نصف الحانات ، أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والمارستانات والسجون .

وقد نبهنا الإمام المجدد رضى الله عنه فى كتابه هذا إلى مضار الخمر وما هو من قبلها وما يلحق بها من المخدرات والأفيون والكوكايين التى أنتشرت فى أيامنا هذه بصورة متعددة وتتفشى فى أثواب مختلفة ، واستشرى شرها وتفاقم ضررها ، وتعاظم البلاء بها فتأثر بها الشباب الغاويين ، والكهول الغافلين رغم صيحات الدعاة والمرشدين ونذر العقاب المهين من رب العالمين .

ومن ثم فإن دار الكتاب الصوفى تدرك أهمية هذه الرسالة وما يترتب عليها من معالجة هذه الانحرافات مما دعا إلى نشرها حتى يتحرر المجتمع من هذه الأوبئة الفتاكة ، ويعيش سليما معافاً .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

دار الكتاب الصوفى
فى يوم الأثنين
٤ رجب ١٤١٣ هـ
٧ يناير ١٩٩٣ م

شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض

الباب الأول

تمهيد

بالشريعة سعادة الفرد والأمة

أسبغ الله النعم بوسعة أدهشت العقل :

كلنا على يقين أن الله تفضل على بنى الإنسان بما لابد لهم منه ، وأكمل مما هو ضرورى للإنسان فى هذه الحياة لحفظ عافيته عليه واستبدال ما فقد منه ، وأسبغ تلك النعم سبحانه وتعالى بوسعة أدهشت العقل ، فخلق الهواء فى كل مكان ، حتى فى قاع الآبار وفى الماء وفى الجو ، فلو ارتفع حى إلى نهاية ما تبلغ قواه العقلية من إبداع المخترعات التى ترفعه يجد الهواء ملازما له ، بل يرى نفسه سابحا فى جو من الهواء مهما ارتفع ، وكذلك ترى الماء ممزوجا بالهواء لغذاء الأنواع الحية فيه ، ولو أن ما تراه فراغا بين السماء والأرض عمر ببنى الإنسان ، حتى صار لا يجد الإنسان له مكانا يضطجع فيه للإزدحام ، لكان الهواء فوق حاجاتنا ، وبهذه النسبة خلق الماء حتى صب لكثرته فى البحار ، فأوجده تحت طبقات الأرض ، وأنزله من السماء ، وأجراه على وجه الأرض ، وكذلك كل ماهو غذاء للأجسام تفضل به بمزيد ، ومن تدبر بفكره يتحقق بما قررناه ، ولما كان الإنسان مكونا من جسم وروح لزم بتلك النسبة أن تكون للأرواح أغذية مفاضة على قدر أغذية الأشباح أو أكثر .

بالشريعة تحفظ للإنسان عافيته الروحانية :

ولما كان أغذية الأرواح لا سبيل إلى العلم بها ، ولا بطرق استعمالها ، إلا بالشريعة الإسلامية ، لأن الإنسان مفطور على الميول إلى ما يلائمه ، فهو وإما غافل عما به سعادته ، أو جاهل بها ، فكان لابد له من شريعة تحفظ له عافيته الروحانية ، فيعيش بها الفرد سعيدا ، والمجتمع سعيدا ، وكل ما وصلت إليه العقول لا يجعل الإنسان حياً حياة فاضلة إنسانية ، بل بالعكس تجعله أقرب إلى الوحوش الكاسرة ، فيكون أقرب إلى الحيوانات فى الغابات ، منه إلى الإنسان فى حضارته ومدنيته ، وإنما السعادة الحقيقية التى بها تلذ الحياة ، ويطيب الأنس للفرد والمجتمع ، هى الحياة الروحانية التى يكون فيها الإنسان إنسانا بمعناه ، عاملا بالشريعة لله تعالى ، ليفوز بالسعادتين ويحظى بالحسنيين .

عالجوا الأرواح

مرضت الأرواح حتى كادت الإنسانية تفارق تلك الهياكل المستطيلة القامة ، العريضة الأظفار ، الضاحكة بالقوة ، وأصبحت تلك الصورة الإنسانية رسوما على حقيقة شيطان أو خنزير أو سبع ، حتى أصبح الوالد عدوا لولده ، والولد محاربا لوالده والأخ خصما لشقيقه والكبير يظلم الصغير ، والصغير لا يوقر الكبير ، وهى صفات الحيوانات الراتعة فى البوادى ، فأين هو الإنسان ؟!

المجموعة الإنسانية على الأرض فوق الألف مليون ، كم إنساناً فيها بمعنى إنسان ؟ أمدهم الله بالقوة حتى اخترعوا وابتدعوا ، ولكن

سلطوا تلك المخترعات والمبتدعات على بنى الإنسان ، حتى أصبح الإنسان للإنسان كالسبع والأرنب ، يبتهج القوى بافتراس الضعيف وليس بغذاء له ، ولكنها الأخلاق فسدت ، والآراء ضلت ، والقلوب قست ، والعقائد ضعفت .

تداركوا البقية الباقية قبل غضب الجبار

كلنا نعتقد أن أحكام الشريعة وضعها أرحم الراحمين ، العالم بخيرنا منا ، فحرم علينا ما يضرنا ، وأباح لنا ما ينفعنا ، وكلفنا بما يسعدنا ، وبين لنا سبل السعادة ، وطرق المجد ، ومنحنا الإرادة والحرية والقوة ، فإذا نحن تمسكنا بأحكام شريعة الله تعالى وعملنا بوصايا رسول الله ﷺ جملنا الله تعالى بالرحمة فكنا رحماء وبالعطف وبالأمانة والصدق والعفاف والغيرة له سبحانه وتعالى ، وصرفنا عما يضرنا ونشطنا لما ينفعنا وشجعنا على فعل المكارم والفضائل وحبب بعضنا فى بعض حتى نصبح كجسد واحد يشعر الرأس بألم الإصبع ، وتتلذذ الرأس براحة الإصبع ، أو نكون مع كثرتنا كعائلة فاضلة يسعى كل فرد منها لخيرها ، ولديها تلذ الحياة ، ونفوز بمسراتها فى الدنيا والآخرة .

اهجروا ما يضر ويغضب الله

أيها الموسرون إن الله ما وهب لكم النعمة لتغضبوه بها وتهلكوا أنفسكم فيسلبها ممن خالف شريعته ، استعينوا بنعمة الله على محاب الله ومراضيه ، عمرتم أماكن اللهو والخمور فأضعتم الصحة والمال والشرف والدين ، يوشك أن يسلب الله نعمه فيغيرها أو يسلب

العافية فيبدلها بالأمراض لغضبه فيخسر الإنسان الدنيا والآخرة ، حرم عليك الخمر لأنها تفسد العقول التى بها السعادة فى الدنيا والآخرة ، وتمرض الكبد الذى هو ميزان الصحة ، فالله ما حرمها إلا لأنه يحبنا ويرحمنا .

أيها الإنسان العاكف على أماكن الفحشاء : أما تتقى الله ؟ تهتك عرض الحرة المصونة ، فتجعلها تتفضح لأجلك ، فإذا تفضحت أباحت عرضها لأهل الفسوق ، فأصابها عضال الأمراض ، فإذا دنا منها المسكين مخالفا لربه أصابه المرض الذى يبقى أثره فى أولاد أولاده ، فجنى على نفسه وغيره .

أيها الزانى : أهلكت نفسك ، فإن كل امرأة زانية بها هذا المرض ، وإن لم يكن بها فربما تمكن الزانى منها حائضا ، ومن باشر حائضا مرض بالسيلان ، وهو مرض لا برء له ، تدوم آلامه ، فإذا ولد له كان المولود معدا للجذام والعياذ بالله . قد مرضت الأرواح مرضا جعل الإنسان أدنى من الخنزير ، وشرا من الشيطان .

طهروا البلاد مما يخالف الشرع

إن الشريعة هى الرحمة التى وسعت الإنسان ، والنعمة التى بها يرقى إلى أعلى مقامات السعادة ، وكل أمة تساهلت حتى عمل فيها بما يخالف الشريعة أعدت نفسها لغضب الله ومقته ، كانت الفحشاء تعمل فى خفاء ، والمنكر يفعل فى خفاء ، حتى تناسى الناس عهد الله وميثاقه ووعيده وعقابه فظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، وليس بعد ظهور الفساد علنا والسكوت عليه خوفا إلا دليل على غضب يعم العالم أجمع ، فارحموا أنفسكم بالرجوع إلى أحكام الشريعة .

الباب الثاني

الخمر رجس من عمل الشيطان

الخمرة أم الكبائر(١)

إن الله جل جلاله لم يحرم الخمر ليشدد على عباده وهو أرحم الراحمين ، ولكنه سبحانه حرمها رحمة بهم ، ودليل ذلك أنه تنزه وتعالى أكرم عباده بكل أنواع النعم ، وسخر لهم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ، وهو الجواد الكريم ، فمنعم يتفضل بكل تلك النعم فتنتفع بها من غير تعب كالهواء والماء والشمس والكواكب والنباتات والحيوانات والمعادن ، بل وتفضل جل جلاله علينا بالأنبياء والعلماء وغير ذلك من النعم التى لا تحصى ولا تعد ، فكريم يمن علينا بكل تلك النعم ، ويحرم علينا الخمر فنسيء به الظن ، ونخالفه جهلا ، ونشربها مع أنها لو ظهر لنا منها أكمل الخيرات لتركناها مسارعة إلى طاعة الله ، ولكن يظلم الإنسان نفسه فيخالف ربه الرءوف الرحيم ، ويشرب الخمر فتقرح كبده حتى يمرض بالخراج الكبدى الذى هو دابة الموت .

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٦٤/١١ ، ٢٠٣ والهيثمى فى مجموع الزوائد ٦٧/٥ ، ٧٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٣١٨١ ، ١٣١٨٢ ، ١٣١٨٣ ، ١٣٢٤٦ والدارقطنى فى سننه ٢٤٧/٤ والسيوطى فى اللآلىء المصنوعة ١١٠/٢ .

ومتى فسد الكبد انهدم الجسم كله ، ثم تهلك القوى العقلية التى بها سعادة الحياة فى الدنيا وميزان المعيشة الاجتماعية ومتى فسد العقل فقد الإنسان حسن تدبير ماله ، وصلاح أحواله وتربية أولاده ، حتى يصير أقل عقلا من الطفل ، وأحقر فى نظر أهله من الحجر الملقى فى الطريق ، يتمنون فقده ، يفقد الإنسان بالخمرة عافيته وماله وجاهه ومستقبله الظاهر ، وياليتها تقف بالإنسان إلى هذا الحد ، بل ويفقد دنياه ودينه ، ثم تقوده بتأثيرها إلى غضب الله تعالى وعذابه الدائم .

الخمرة أم الكبائر . نعم . فإنا لا نرى فى العالم أجمع بلية من الرذائل ولا خصومة بين الأقارب ولا منازعة بين الإخوان ولا فساداً من زنى أو قتل أو سلب أو عقوق أو قطيعة رحم أو موت الفجأة ، أو الروماتزم والفالج ، أو مرض السل الرئوى أو التشنج العصبى ، أو الفقر المدقع إلا وأصله الخمر . أجمعت الكتب السماوية على تحريمها وقد كذب قوم ممن لا علم لهم بالكتب السماوية على سيدنا عيسى عليه السلام بدعوى أنه قال : قليل الخمر يصلح المعدة . نعم . ولكن هل فهموا مراده ؟ (لا) فإنه عليه السلام كان فى بلاد سوريا بين أورشليم البلاد الباردة ، فكان يحب أن يتغذى بالثمار ، فلما قدم له الخبر وكان فطيرا ، قال : قليل الخمر يصلح المعدة ، يريد الخبز المخمر وفيه قليل الخمر ، ولكن النفوس أبت أن تفهم كلام الرسل عليهم السلام إلا بقدر الحظ والهوى . وفى الآثار : أن شابا جميلا كان تقيا ، فعشقته امرأة فاحتالت عليه حتى أغلقت عليه أبوابها ، وطلبت منه أن يفعل بها الفاحشة ، أو يقتل بنتا عندها ، أو يشرب قدح خمر موجود ، ففكر فى تلك الكبائر ، فعظم فى عينه القتل ، وفى قلبه الزنى ، وقال فى نفسه إن كان لابد فأهون تلك الكبائر الخمر ،

أشرب هذا القدح وأسرع فأتقايؤه ، وتحقق تخفيف جريمة الخمر ، فما وصل الخمر إلى معدته حتى أذهب التقوى والإيمان من قلبه ، وأطفأ نور مراقبة الله تعالى ، ونظر إلى المرأة بعين الشهوة ملتمسا منها عمل الفحشاء ، فأبت عليه حتى يقتل البنت ، فأسرع بقتلها ، وفحش فى المرأة ، فانظر يا أخى أثرها السيء فى النفس ، بلغ الضرر بالخمرة أن تنوع النفس فتجعلها شرا من الشيطان ، يشربها الفاسق فيزنى فى المرأة ، وربما يقتلها ويسلب حليها ، أعوذ بالله من الخمرة ، هل من يزنى فى أجنبية جميلة تألفها النفوس وتحن إليها ، ثم يقتل تلك الفتاة بعد الزنى فيها يكون شيطانا فقط ؟ لا . والله فإن الشيطان لم يقتل ، ولم يزن ، ولكنه وسوس فقط ، ما الذى أفقد الإنسانية من الإنسان ، وأبدل الشفقة بالقسوة . الإنسان ينتقم من عدوه فهل تلك الفتاة الجميلة التى لذذته عدوة له حتى يقتلها ؟ لا . ولكن الخمرة جعلته شرا من الشيطان .

المولى يقيم حدوده إذا لم تقيمها الأمة :

وأنت أيتها الفتاة : أنعم الله عليك بالجمال وبالمال ، وأمرك بالعفاف الذى به سعادتك وشرفك ، ولذتك وشهرتك الجميلة ، فهل خرجت للفحش جائعة البطن ، أو عريانة الجسم ، جهلت أيتها الفتاة سرعة انتقام المنتقم بعمل ما نهى عنه ، وهكذا كل فتاة تعمل ما نهى الله عنه يسرع الله بالانتقام منها ؛ لأن الأمة إذا لم تقم حدود الله تعالى أقامها الله بنفسه ، وقد يكون حد الزنى مائة جلدة لو أقمناه ، ولكن انظر إلى إقامة الله تعالى حدوده كيف ينتقم من العاصى بالعاصى . يكره المسلم آداب الشريعة فيحب الرجل المرأة الفاجرة ، وتحب الفاجرة الفاجر فينتقم القهار منهما .

أيها المسلم : هل نسيت أو تناسيت ؟ تختفى من الناس وتغضب الله تعالى وهو معك أينما كنت ، تنبه يا أخى ، وراقب ربك جل جلاله فى السر والعلن ، واعتبر يا أخى أنه تعالى ـ وإن أمهل ـ لا يهمل ، وإن صبر لا ينسى ، وإن حلم لا يعجزه شيء . راقب الله يعطف عليك ، ويهب لك الخير الذى تحبه فى الدنيا والآخرة ، وجاهد نفسك فى ذات الله تعالى بترك ما نهاك عنه وعمل ما أمرك به تسعد فى الدنيا والآخرة ، والله غفور رحيم عفو تواب .

ماهو الخمر ؟

الخمر هو عصير العنب والتمر وغيرها من الفواكه إذا غلا واشتد وقذف بالزبد ـ وقيل : إن العنب إذا وضع فى الجرار علاه رغوة تخمره أى تستره .. وقيل هو كل مسكر .. والخمر مأخوذ من الخمار الذى تضعه المرأة على وجهها وصدرها لتستره ، وسمى خمراً لأنه يستر العقل عن وظيفته التى بها حياة الإنسان فى مسرة وهناءة ، فهو يخامر ا لعقل ويكسف نوره ، ويميت قوة الفكر حتى يجعل شاربه بعد أن كان إنساناً كاملا حكيما مفكرا عالما مدبرا أقل من البهيم الأعجم إدراكا ، وأشر من الوحش انصاري إفساداً ، وألعَنُ من الشيطان المضل أعمالاً ..

للخمر نجاسة معنوية :

حرم الله الخمرَ علينا وجعلها رجسا من عمل الشيطان أى نجاسة معنوية يعملها الشيطان ليفسد العقيدة ، ويزيل الأخلاق الفاضلة ، ويغير الشمائل الحسنة ، فيصير الإنسان نجساً نجاسة معنوية ، بمعنى أنه بعد أن كان شبيها بالملائكة بعقيدته وعبادته وأخلاقه ، شبيهاً

برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ومقتد بهديهم ، والتجمل بجمال أعمالهم ، وبعد التخلق بأخلاق الله ينحط فيكون شبيهاً بالشياطين المردة فى آرائه وآماله وهمه ، وبالوحوش المفترسة جرأة ، وبالبهائم السفاكة فى دناءته وارتكابه الفواحش ، وبين المنزلة التى كان فيها أو الهاوية التى انحط إليها كما بين الطيبة والميتة والخبيثة .. هذا ما يظهر لمؤمن يذوق حلاوة كلام الله بنور الإيمان .. ويتدبر فظاعة ما حرمه الله عليه بصورة تناسب نفوره منه .. كما ينفر الأعزل من السبع الكاسر ...

للخمر مضار متعددة :

فإذا نظرنا بعين المؤمن المفكر الذى كوشف بشىء من أنوار القرآن الذى أنزله الله سبحانه وتعالى لنا وجعله سببا لسعادة الدنيا والآخرة ، ينكشف لنا من تحريم الخمر وخطره علينا أن تحريمه كان لحكم دينية وصحية وعمرانية وإجتماعية ، وأن استعماله مضرة فى الدين وفى الاجتماع وفى الصحة وفي يوم القيامة ..

مضار الخمر الدينية :

أما مضاره الدينية فلأن مرتكبه فعل ما نهاه الله عنه فكان بإرتكابه ما حرمه الله مبرهناً على إستهانته بأحكام خالقه ومبدعه وأنه عبد لشهوته وحظه يطيع ويفعل ما يدعوه إليه هواه ..

مضار الخمر الصحية :

وأما مضاره الصحية فلأن الخمر إذا تجرعه السكير ونزل إلى معدته أفسد الغدد المعوية ، ويصعد منه بخار مفسد للمجموع

العصبى ، ومضعف لقوة الفكر والخيال والعقل ، حتى قد يجعلها معطلة عن وظائفها ، ويتولد منه دم مفسد للكبد لحرقته فيهيج تجويف الكبد حتى قد يجعله ملتهباً أو متمدداً ، ويرى هذا الدم فى الدورة الدموية حتى يصل إلى الرئتين فيفسد الرئتين ويفسد صمامات القلب ، فيكون شارب الخمر خصوصا المكثر منها أو الشيخ الكبير أو المقيم بالبلاد الحارة معرضا لأمراض الكبد والرئتين والقلب ، ويسرى هذا الدم ليتولد منيا فى المجموع المنوي فيتولد منه مولود فاسد الخيال قليل الرؤية غير قابل للتهذيب الشرعى لا يؤمن بالله حق الإيمان ولا باليوم الآخر ، ويكفى بذلك مرضاً ينتجه لذة ساعة بوهم فاسد يتخيله المولع بمخالفة أحكام الله المسارع فى ضياع صحته ..

وفيه مضار أخرى هو أن الانسان إذا شربه وقرب من فمه ناراً إحترق الخمر فى بطنه فمزقه وهو الإحتراق الذاتى .. وكم قتل الخمر رجالا بهذا الاحتراق .. يشرب الإنسان الخمر ثم يأتى بلهبة يشعل بها ما يحرقه من التبغ « الدخان » فتصل الشعلة إلى أثر الخمر على شفتيه فتصل الخمر إلى بطنه لأن الخمر سريع الإشتعال(١) .

مضار الخمر العمرانية :

أما حكمة تحريمه العمرانية فلأن الإنسان ليس كالحيوان الغنى عن بنى نوعه بل هو محتاج لأفراد كثيرين يقوم له كل واحد منهم بحاجة ، بل وفى حاجة إلى أنواع كثيرة من الحيوانات ينتفع من كل نوع منها بمنفعة خاصة ، وهذه الضروريات لا تتوفر له إلا بمبادلة ، لا تحسن إلا بمعاشرة مؤسسة على أخلاق طاهرة وسماحة وبشاشة وتأليف ،

---

(١) أسرار القرآن جـ ٢ ص ١٤٠ .

وشارب الخمر معلوم أنه يحصل له ثورة السكر فيعربد كالوحش الضارى فيفر منه بنى نوعه والبهائم الراتعة ، وبذلك يحصل الفساد فى التوازن العمرانى وتكثر الخصومات والمنازعات ، حتى يكون الإنسان عدواً لأخيه الانسان ويترك كل واحد منهم الضرورى عمداً ويلتفت كل واحد منهم لأذية أخيه .. كل هذه نتيجة من مضار الخمر العمرانية ... وما فائدة إنسان يتجرع السم الزعاف ويصبح خامد الفكرة خبيث النفس كالعضو الأشل فى المجتمع يضر ولا ينفع ، يتوقى أهله شره ويخش جيرانه ضرة ، وإذا رأه إنسان حر على بابه أساء الظن بأهله ، وإن رأه إنسان ومعه امرأة أو رجل أتهم ، وهى عيشة أدنى من عيشة البهائم الراتعة ، وبعيشك إذا كانت هذه حالة السكارى !! هل يتكون منهم مجتمع فاضل وتتألف منهم أمة تأمر بالخير وبه تفعل لا والله .. إذا كان شاربوا الخمر فى أمة قد كثروا سرى إليها الخراب وعمها الفساد وصارت ذيولاً بعد أن كانت رؤساً ..

مضار الخمر الاجتماعية :

وأما حكمة تحريمها الإجتماعية فمعلوم أن الله سبحانه وتعالى أودع فى هذا الكون الفسيح كنوزاً ، وجعل مفاتيحه الفكر والإنتفاع بها والعمل .. فما من كائن من الكائنات إلا أودع الله فيه منافع خاصة به ومنافع أخرى تنتج عنه مع غيره ولا يمكن أن ينتفع بنو الإنسان من تلك المنافع إلا بالبحث عنها بالفكر والبحث وراء إيجادها بالتجارب والصبر على هذه الأعمال ، والهمة فى جعلها سهلة نافعة بالصبر على المشاق فى سبيلها ، وتلك الصفات التى هى الفكر والبحث والتجارب والصبر على هذه الأعمال لا يمكن أن يقوم بها شارب الخمر لأنه بشربه الخمر فسدت قوة فكره ، وإختل نظام صحته ..

وتسلط عليه همومه ووهمه .. وبذلك يحرم الإنسان من الانتفاع بالخواص التى أبدعها مبدع الكائنات فى أرضه وسماواته فيما بينهما من ضروريات الإنسان المتوقفة على علم تلك الخواص فكيف بكمالياته ، وإذا ترك الإنسان البحث بفكره والعمل برويته استعمل قواه البدنية بتدبير نفسه السبعية فيكون لصا مفسدا يقتل النفس التى حرمها الله لينال ضرورياته ويسعى فى الأرض بالفساد . وهل إذا كان ذلك بنوا الإنسان أو أكثرهم يمكن أن يتكون مجتمع !! كلا .. لأن بنى الإنسان يكونوا كالوحوش الضارية فى الغابات لفقد القوة التى بها تنتظم أحق الهمم الإنسانية التى يتميزون بها عن أنواع البهائم وهى العقل والفكر .

الخمر داعية الهموم وموجبة الأحزان :

إن الغنى القوى قد يتوهم لسخافة عقله أن الخمر تزيل الهموم أو أنها توجب السرور أو أنها تعين على ملامسة النساء .. كذب ورب الكعبة فإنها راعية الهموم الحقيقية كما أبين .. وموجبة للأحزان ومفسدة لهذا العضو بالخصوص ..

أما إنها داعية إلى الهموم الحقيقية فلأن الإنسان العاقل إذا حل به أمر يهمه فالواجب عليه أن يهتم به ، وأن يسارع فى وجوه التدابير التى تدفع عنه هذا الأمر ، وعمل بالحكمة التى تخلصه من هذا الأمر .. ولا تكون تلك الأعمال كلها إلا بعقل راجح ، وفكر حاضر ، ودم نقى تصفو به قوة الخيال .. فإذا شرب الخمر ليزول همه جعلته الخمر بهيماً لا يعرف الرفعة من الدناءة ، ولا الشرف من الذلة .. نعم زال همه لأنه إنحط عن رتبة الإنسان المفكر ولكنه بلى بهم أكبر وهو تمكن ما أصابه منه حتى لا يقدر على رفعة بعد تمكينه ــ أما

كونها موجبة للأحزان فلأن شارب الخمر يقع فيما يستنكف أن يعمله المجنون ويأتى ما يستقبح به أن يأتيه البهيم الأعجم ..

ـ أما العمل الذى لا يعمله الحيوان الأعجم فقد يجعل الفاحشة مع رجل مثله وليس كذلك الحيوان الأعجم .. لأننا ما سمعنا ولا رأينا أن يعلو حيوانا ذكراً مثله ولا أنه يتخيل ذلك فإذا أفاق السكير وعلم بما وقع منه من العربدة والمفاسد أحاطت به الأحزان لسقوط منزلته أمام الناس ، ولفعله القبيح أمامهم ، وكان يظن لجهله أنه لم يطلع عليه أحد ..

ـ أما كونها مضعفة لقوة الجماع فلأنها تفسد الكليتين وتجعل فى البول أجزاءاً إما من الزلال أو من السكر أو من الأحماض والعياذ بالله تعالى .. والمجموع المنوى مرتبط بتلك الأعضاء فيظن السكير أنه تقوى على الجماع ، وفى الحقيقة فإنه ضعف عنه ولذلك فإننا نسمع أن نساء السكارى يبغضن أزواجهن وكثيرا ما نجد أنهن يجتهدن فى الطلاق منهم مع ما يكن فيه من نعمة مع هؤلاء السكارى ويتزوجن بالفقراء لأن الفقير الذى لا يستعمل أدوية للتقوية على الجماع يكون المجموع المنوى منه قويا صحيحا يولد المنى بمقادير تبطىء بإنزاله عند الجماع وهو الأمر الذى تشتهيه النساء ... وأما الذى يشرب الخمر أو يتعاطى ما يسمونه بالمقويات فإنه فضلا عن تناول السم المهلك له تكون تلك الأدوية معينة على سرعة توليد المنى من الدم وسرعة إنزاله قبل أن تكتفى المرأة به بالمقدار المناسب من الملامسة فيكون أفسد عقله وأضر صحته ودعا زوجته تجتهد فى أن تتعرض لغيره من الرجال وكل ذلك من عمل ما نهى الله عنه .

ـ فالعاقل يعتقد أن علم الله بوجوه خيره هو العلم الحقيقي وأن مخالفة أحكام لله جهل بالخير وأنك لترى أكثر المترددين على الأطباء هم الذين يرتكبون ما نهاهم الله عنه بل وترى المكبلين فى السجون والمتسولين فى الطرقات كلهم ممن ارتكبوا مانهى الله عنه قال تعالى : ﴿ ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾[1] ... صدق الله العظيم .

سر إرتباط الأحكام الشرعية بأسباب النزول :

معلوم أن الأحكام الشرعية إقتضت حكمة الله تعالى لعلمه بخلقه أن يجعل لكل حكم منها أسبابا محسوسة تؤثر على النفوس تأثيرا تتشوق به إلى البيان المحكم .. الذى يتضح لهم به حكم الله تعالى في تلك الحادثة حتى يكون الحكم الشرعى منقوشا فى النفس ، متخيلا للخيال لتأثير الحادثة التى إقتضت ولو أن الأحكام الشرعية أنزلها الله تعالى بغير مقتضيات وحوادث تدعو النفوس إلى الفضل فيها لما علق بالقلوب إلا من وجهة أنه نور من الله تعالى وآيات من آياته الكريمة ربما لا يستحضرها المسلم كاستحضاره لها بالحادثة المزعجة التى تجعل السامع لها يرويها بحادثتها التى اقتضتها ..

ومن فهم حادثة التيمم التي بسببها أنزل الله تعالى رخصة التيمم من وجود رسول الله ﷺ وأصحابه عليهم رضوان الله تعالى بأرض لا ماء فيها بسبب ضياع عقد أم المؤمنين فى السفر .. يعلم حق العلم أن كل حكم شرعى لرخصة أو نهى عن محرم أو ترغيب فيما ينيل

---

(١) سورة الشورى الآية (٣٠) .

رضوان الله تعالى ، لابد له من حادثة تجعل النفوس تتصوره عند مقتضاه .. وكذلك كانت الخمر فإن الله سبحانه وتعالى لو أنزل تحريمها بدون حادثة تزعج النفوس وتجعلها تشتاق إلى البيان فيها ، لم يكن لها التأثير على المجتمع كالتأثير الذى صار لها بعد الحادثة ، فسبحان الحكيم الخبير العليم بعباده قال تعالى : ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾(٢) .

نزول آية تحريم الخمر بعد تدرج تشريعى :

فسبب نزول هذه الآية ـ آية تحريم الخمر والله تعالى أعلم أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم وفى مقدمتهم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « سألوا رسول الله ﷺ عن الخمر ، فأنزل الله تعالى الجواب بقدر الحادثة ـ فقال سبحانه وتعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾(١) ..

فأنتهى عنهما أهل العزائم العلية ممن جذبتهم محبة الله سبحانه وتعالى إلى ترك الآثام مطلقا والمسارعة إلى ما به يفوزون برضوان الله تعالى .. ثم كان يشربها غيرهم حتى كان أحدهم يصلى فيجهل ما يعقل وقام أحدهم يصلى فقال ﴿ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون .. ونسى البقية فرفع الأمر لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله

---

(١) سورة الحجر الآية ٢١ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠٦

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٩ .

الحكم بقدر الحادثة قال سبحانه وتعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾[1] ثم حصلت الحوادث المزعجة التى منها أن أحد المهاجرين شرب الخمر مع أحد الأنصار فقال ﴿ إن المهاجرين أفضل من الأنصار﴾ فضربه أحدهم حتى أومى وجهه ، وكاد السيف أن يسل وحدثت حوادث مثل هذه جعلت الصحابة تشتاق نفوسهم إلى أن الله سبحانه وتعالى يبين لهم بياناً كافيا فى الخمر .. فأنزل الله تعالى تلك الآية آية التحريم للخمر نصا صريحا فى تحريم الخمر بلفظها ومعناها ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فإجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾[2].

الخمر تجعل الإنسان حيواناً لا يميز بين الفضائل والرذائل :

الخمر تكسف نور العقل وتجعل الإنسان حيواناً لا يميز بين الفضائل والرذائل ، فيكون بشرب الخمر حرم التلذذ والبهجة ، لأنه لم يتعقل آيات الله الظاهرة من تصريف الرياح وتسخير السحاب ، وخلق السموات والأرض ، وإختلاف الليل والنهار ، ومن الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، ومن الدواب المسخرة للإنسان التى تجعل النفس الطاهرة الذكية تشهد فضل الله ورحمته ، وعجائب قدرته وغرائب حكمته ، فتسكن إلى الله وتسارع إلى رضوان الله ، وتنجذب بكليتها إلى القيام بشكره سبحانه ، خصوصا إذا كمل

---

(٢) سورة النساء الآية ٤٣ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٩٠ ، ٩١ ..

العقل الإنسانى فانفتق أمامه رتق الكائنات فنظر فيما أحاط به نظر مفكر ثم انتقل فنظر فيما فى نفسه وتناول من رحيق قوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾[1] كل تلك اللطائف التى تتجمل بها النفوس ، والحقائق التى تطمئن بها القلوب ، والأسرار التى تنشرح بها الصدور ، ولا تنال إلا بالعقل الصحيح الكامل . فمن تناول الخمر فأفسد تلك الجوهرة التى بها الفوز بتلك الكمالات النفسانية فى الدنيا والآخرة فقد جنى على نفسه جناية كبرى لا يجنيها عليه إلا إبليس لعنة الله عليه .

الخمر توقع الإنسان فى حبالة الشيطان :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾[2] .

فبين الله سبحانه وتعالى أن لنا عدواً لا يفتأ يسعى ليوقعنا فيما يغضب الله تعالى ويبعدنا عن الفوز برضوانه الأكبر ، والفوز بمشاهدة ملكوت السموات والأرض ، والأنس بآيات الله تعالى فى الآفاق وفى أنفسنا حتى يكون المشاهد وهو فى تلك الدار الدنيا كأنه فى الفردوس الأعلى ، لما ينجلى له من الأنوار المحمدية والملكوتية وما يجلى من الحقائق الصادقة مما تبتهج به النفوس الذكية ، وتطمئن به القلوب السليمة ..

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٩١ .

والشيطان أعاذنا الله منه لا يجهل مسلم عداوته لنا ولا ينسى سببها لأن لعنة الشيطان وبعده وقطيعته كانت بسبب أبينا آدم عليه السلام .. فهو لعنة الله عليه حريص على أن يجعل الناس معه فى هاوية اللعنة ، وسحيق القطيعة ، وسجين البعد ، فيزين للناس الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وهى أربع جمعت كل الشرك بالله والاعتماد على غير الله ومخالفة أمر الله تعالى ومضرة للناس . وكل واحد منها مفسدة للقلب ، مجلبة للشر مذهبة للخير ، ومن وقع فى حبالة الشيطان فارتكب واحدة منها ، ـ نعوذ بالله من غضبه وسخطه ـ حصلت بينه وبين إخوته المؤمنين العداوة المؤدية إلى الكبائر من الحسد والكبر والسعى فى المضرة والبغضاء المؤدية إلى الكبائر من القتل واللعن والسب والقذف والكذب ـ والعياذ بالله تعالى ـ وإلى الغفلة عن ذكر الله بالعمى عن مشاهدة آياته المنبلجه فى الآفاق وفى أنفسنا ، فإن مشاهدة الآيات لا تحصل إلا بفراغ القلب ، وراحة البدن ، والتفات العقل ، ومن حرم مشاهدة آيات الله فى الدنيا يوشك أن يخرج منها على غير إيمان كامل لأن قلبه لم يطمئن بالإيمان ، بل ولم يذق حلاوة الإيمان ، ولا لذة التقوى ، وإلى السهو فى الصلاة بالغفلة فيها أو بالتساهل فى تأديتها على الوجه الأكمل بشروطها جميعا وسننها وآدابها أو بتركها مرة واحدة ـ والعياذ بالله تعالى ـ كما يحصل لمرتكب الكبائر فيكون الشيطان قد ملك قلب هذا الفاجر ، وسد أبوابه حتى لا تصل إليه أنوار الملكوت وهو الخسران بعينه ، أعوذ بالله من غضبه ومقته ..

البرهان القوى على تحريم الخمر :

كل عاقل يذوق حلاوة كلام الله تعالى ويتحقق كمال رحمته

وحنانته بنا وتفضله علينا بنعمتى الإيجاد والإمداد فى الدنيا ونعمة الحياة الثانية والبقاء الأبدى فى جوار رب العالمين سبحانه ، يعلم حق العلم أن الله لم ينهنا عن شيء إلا وهو يعلم بضرورة العاجل والآجل لمرتكبه .

ـ أساله سبحانه أن يعيذنا بعنايته الربانية من أن نظلم أنفسنا بارتكاب مانهانا عنه ـ ولما بين الله سبحانه وتعالى هذا البيان وظهرت الحجة البالغة ، وانبلجت أنوار رحمته وفضله علينا ، وهطلت سوابغ إحسانه ، وعمنا سبحانه وتعالى بإكرامه ، قال سبحانه وتعالى تقريراً لتحريم الخمر فى صورة استفهام ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾[1] فى قوة قوله سبحانه وتعالى : إنتهوا ... حتى يكون اللفظ داعيا لكمال الطاعة وإنشراح صدورنا بأن الله جعل لنا شأناً فاحببناه بإخلاص قائلين : انتهينا ربنا لك الحمد لك والشكر ..

ثم يقول سبحانه وتعالى عقب تلك الآيات ـ آيات تحريم الخمر والميسر ﴿ **فأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾[2] .. لأنه سبحانه وتعالى جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام ـ والأنصاب كما قررنا ـ مايُعْبَدُ من دون الله .. فكان جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام دليلًا على أن الخمر والميسر ممايدعو إلى الشرك بالله تعالى « لذلك اقتضى الأمر أن يقال » أطيعوا الله فيما أمركم به ، ومانهاكم عنه ، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما سنه لكم وأخبركم به

---

١ ـ سورة المائدة الآية ٩١ ..

٢ ـ سورة المائدة الآية ٩٢ ..

عن الله تعالى ، ومعلوم أن طلب الطاعة فى هذا الموضوع برهان على تحريم الخمر ، لأنه سبحانه وتعالى نبه المؤمنين عقب ذكرها بطلب طاعته وطاعة رسول الله ﷺ ، كما هى سنة الله تعالى عند الأمر بعمل عظيم ، أو عند النهى عن أمر عظيم ...

قال تعالى عند طلب العمل ﴿ولله على الناس حج البيت لمن إستطاع إليه سبيلًا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾[1] وقال سبحانه وتعالى ، « واحذروا » وهى كلمة تقشعر لها جلود المؤمنين وتكاد تذوب قلوبهم خشية من الله سبحانه وتعالى . فكيف لا والحذر : هو الوقاية من الوقوع فى شر عظيم يوبق ويضر ويهلك . وكل تلك المعانى دالة على عناية الله بالمؤمنين ورحمته بهم ويقظة قلوبهم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ..

لما كان قلب المؤمن محفوظاً من إتخاذ الأنصاب ومن العمل بالأزلام ... أفرد سبحانه وتعالى الخمر والميسر فى آخر الآية فى التنبيه بقوله سبحانه وتعالى « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر »[2] ...

التحذير الإلهى بعد تحريم الخمر :

لقد قال سبحانه وتعالى ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وإحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[3] .. وذلك عقب

---

١ ــ سورة آل عمران الآية ٩٧ .
٢ ــ سورة المائدة الآية ٩١ .
٣ ــ سورة المائدة الآية ٩٢ .

آيات تحريم الخمر ، وهذه الآية الشريفة فى نهاية الشدة على قلوب أهل الإيمان ومعناها ــ والله تعالى أعلم ــ فإن أعرضتم عن طاعة الله ، وطاعة رسولة ﷺ ، فإرتكبتم مانهاكم الله عنه من الخمر والميسر ، فإن ضرر ذلك عائد على من خالف الله ورسوله وسوؤه حائق به ، فإن الله سبحانه وتعالى إنما كلف رسوله ﷺ أن يبلغ الناس عنه أحكامه ، ومتى بلغها وقام بما أمره الله به أدى الواجب عليه لله سبحانه وتعالى ، وبقى الواجب على الناس وهو السمع والطاعة لله ورسوله فمن سمع وأطاع كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ... ومن تولى وأعرض وخالف كان وبال ذلك حائقاً به لايتعداه لغيره وفى الآية من روح الرحمة الآلهية ، وسر العواطف الربانية مايجعل للنفوس رغبة فيما عند الله ، وخوف من عقوبته ، فهذه الآية تهديد للنفوس اللقسة وإنذار لها من سوء العاقبة باسلوب الحكيم ، وطريق الرحمة والرأفة التى تشتاق إليها النفوس فسبحان الله الحكيم الخبير ..

والحمد لله قد بلغ رسول الله ﷺ أحكام ربه وبينها لنا كل البيان بقوله وعمله وحاله ﷺ وماعلينا إلا أن نجاهد تلك النفس النزاعة للشر مجاهده تجعلنا نملكها ملكاً لانخرج به عن طاعة رسوله ﷺ ، حتى تلين لنا وتنقاد لأوامر الله إنقياداً يجعلنا نفوز بما وعدنا الله سبحانه وتعالى من المغفرة ورضوان الله تعالى والفوز بالفردوس الأعلى .. ومما تقرر يظهر لنا أن ضرر الخمر والميسر لايقل عن ضرر الأنصاب والأزلام بالنسبة لما يرتكبه شارب الخمر ولاعب الميسر من الكبائر التى تنتج عنها حتى يكفر ولايشعر .. أعاذنا الله من معصية الله تعالى ومنَّ علينا برضوانه الأكبر إنه مجيب الدعاء ..

الباب الثالث

الخاتمة

حصنوا المجتمع بالفضائل الإسلامية

الحرب قائمة بين الحق والباطل :

حارب أبليس آدم فى الجنة حتى أهبطه الله منها ، وقد وهب سبحانه وتعالى للإنسان عقلا يعقل ، وجعل له حدا محدودا لا يتعداه ، وركب فى الإنسان من القوة الباعثة على الشرور ، الداعية للمفاسد مالو ترك الإنسان وشأنه لألقته في الدرك الأسفل من النار فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فبما يصيبه من الآلام والبلايا ، بسبب الحسد والطمع والحرص التى هى مقتضى مافيه من النفوس ، وأما فى الآخرة فبالعذاب الذى يستحقه لمخالفته للدين ، واتباعه هواه ، والحكمة فى أن الله خلق للإنسان العقل أنه سبحانه أهله للسعادتين ، فالعقل يعقل بدائع إبداع صنع الله فى هذا الكون الجلى ، فإذا جاهد الإنسان النفوس بالعقل ، حتى صارت وسطا ، متبعة للدين ، فاز بالسعادتين ، ونال الخيرين ، وإذا أهمل العقل ، وانقاد لحظوظ النفوس ، باء بالعناء فى الدنيا والعذاب فى الآخرة وكلنا نعلم أن الأمم قبل الإسلام كانت بين جاهلية ، أوأمم فاسقة ، أو أمم بدلت الفضائل بالرذائل ، وهى المبدلة ، حتى ظهر الإسلام فعم السلام ، حفظت الدماء إلا دم أهرقه الشرع والعقل ، حفظت الأعراض غيرة للشرع ،

وحفظا للشرف ، وخوفا من فضيحة الدنيا وعذاب الآخرة ، حفظت الأموال من أن تتطاول إليها الأيدى الأثيمة فيقطعها الشرع .

حفظت العافية من سلبها بالخمور والحشيش والبنج والأفيون خوفا من سلب الحياة بالحدود الشرعية ، سجنت النفوس المظلومة فى الأجسام خوفا من سطوة الشرع وانتقامه برجال الغيرة المنفذين له ، عاشت الأمم فى ظل الإسلام فى سلام من سفك الدماء ، وسلب الأموال وهتك الأعراض ، ومن امتياز بعض الناس على بعض ، لا فرق بين المسلم وأهل ذمة الله ورسوله فى هذا الخير العام ، حتى أغضب المسلمون ربهم ، وخالفوا وصايا النبى عليه الصلاة والسلام ، وترك العلماء والوعاظ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فعم الخطب ، وصار العالم يقف على أبواب الأمراء والحكام ملتمسا زيادة مرتبه ، أو مضرة نظيره ، أو الظهور فى الدنيا ، وصار الواعظ يتخذ الوعظ سبيلا لجمع حطام الدنيا وللشهرة فيها .

مرض العلماء والوعاظ فصاروا أضر على الأمة من جمقاها ، وليس العلم ما به الوجاهة ورفعة المنزلة بين الناس ، إنما العلم ما به الخشية من الله ، والغيرة لدينه والمسارعة إلى محاب الله ومراضيه . عجز العقل عن الأنظمة التى يعيش بها العالم فى سلام وأمان فى الدنيا ، ويفوز بها بالمسرات الباقية يوم القيامة ، وتحقيق أنه لا يفوز بالخيرين إلا بدين سماوى يأتينا به رسول من عند الله تعالى ، يقبله العقل ويرضاه ، يخرج الإنسان من الأخلاق الإبليسية ، والشهوات البهيمية ، والأطماع الإنسانية ، حتى يكون المجتمع كالجسد الواحد يعمل كل فرد للمجتمع ، ويعمل المجتمع لكل فرد ، ولا يكون هذا الخير إلا بوازع دينى يقهر القلوب خوفا من علام الغيوب ، ويقهر

الأجسام بتنفيذ الحدود ، من جلد ونفى وقتل ، ليستريح العالم من الظلم والتظالم والبغى ، وقد جمع الإسلام من الآيات التى خشعت لها القلوب ، وزكت بها النفوس ، ومن الأحكام ما علت بها الأجسام ، وضعفت الأوهام ، ولا سبيل إلى السلام والسعادة إلا بالرجوع لأحكام الإسلام . أنتج إهمال إقامة حدود الله ظهور الفساد فى البر والبحر ، فأصبح المجتمع الإنسانى كمجتمع وحوش فى غابة يعيش فيها حيوانات ضعيفة ، كيف تكون حالة تلك الحيوانات مع الوحوش الكاسرة ؟ فكذلك صار المجتمع الإنسانى : تقهقر المجتمع حتى صار شرا من مجتمعات الجاهلية قبل الإسلام ، كان الإنسان فى الجاهلية محافظا على بعض الفضائل ، كالكرم والنجدة والإغاثة وحفظ الجوار ، وكان لتلك الفضائل رجال حمس ، وأصبح الناس وقد تركوا دينهم ، فتقهقروا إلى ذل الجهل ، وخزى الإباحة ، وابتلوا بالحسد ونسيان يوم القيامة ، فألفوا الزنا بينهم علنا وهو أرذل الرذائل فاعتادوه ، وانتشر الخمر وهو أفسد المفاسد ، فسارعوا إليه ، وجعلوا الحانات وبيوت العهارة أندية للسمرة ، ومجالس يفتخر بها من خسر الدين والدنيا ، تركوا الدين فوكلهم الله إلى أنفسهم فصاروا عبيدا لمن كانوا لهم تبعا ، سلب منهم المجد فرضوا بالخزى ، وسلبت السيادة فرضوا بالذل ، ثم سلب المال فوقفوا على أبواب من كانوا يقفون على أبوابهم .

أين هذا المجد أيام تمسكنا بديننا ؟ وأين هذا الشرف والعز أيام عملنا بسنة نبينا ؟ وأين تلك الغيرة على الأعراض أيام كانت الأمم تضرب بنا الأمثال ؟ كيف يرضى المسلم أن يرى بيوت العهارة وفيها الفتيات المسلمات يدخل عليهن من يعلمهن وفيهن قريبته لأمه أو لأبيه

أو لدينه ؟ لنفرض أن الحكومة جعلت عليهن حرسا ، ورخصت لهن فى هذا الفعل ، فهل الحكومة أوجبت على المسلم أن يدنس دينه وعرضه وشرفه ويرجع بالجذام رغم أنفه ؟

الإنسان بصير على نفسه ، الحكومة رخصت للباغية والقرآن حرم الزنا ، ورخصت لأصحاب الحانات ، والشريعة حرمت الخمر ، وجعلت حرسا على بيوت الزنا والحانات فهل تطيع الحكومة وتخالف دينك ؟ يغضب ربه الزانى ، والسكير ، والذى يتناول السموم من الخمر والحشيش والكوكايين ، ويغضب النبى عليه الصلاة والسلام ، ويقتل نفسه بالزهرى ، والسيلان ، والسموم التى يتناولها ، وينشر أرذل الرذائل بعمله فى أقاربه ، لأن الفتيات إذا خدعهن الغربى وجيوشه فمن الذى خدعك أيها الشاب المسلم ، وخصوصا المتربى ، وأنت تعلم شرور هذا العمل . أيها المخالف لدينك : أما تتقى الله وتحفظ صحتك ، وتحصن شرفك بين قومك ، وتدفع المصائب عن أمتك ، وتغار لأقاربك ، أما الفضائل فهجرتها ، وأما الرذائل فعملتها ، وأيدتها ، وقد آن لك أن تنظر بعين البصيرة إلى مستقبلك ، فإن دوام الفجور يؤدى بالإنسان إلى الهوان والخزى فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، وقد قامت الحجة على تلك الحقيقة ، وظهرت لك المحجة التى بسيرك عليها تفوز بالخيرين ، وتسعد فى الدارين ، فارحم نفسك وارجع إلى العمل بالدين ، ولا تنظر إلى أوربا التى تركت الدين ، فإنهم تركوا دينهم وعملوا بحظهم فى الدنيا فظفروا بالعاجلة ، وما تركوا دينهم إلا لأن العقول أنكرته ، والمسلمون قلدوا أوربا فى ترك الدين والعمل بأحكامه من غير بصيرة ، فتركوا الحق الجلى الذى سجدت له العقول ، وبه مكن الله لنا فى الأرض ،

فذلوا ، واستعبدهم العدو ، ودين يتركه أهله فيذلون للأعداء حقا يجب الرجوع إليه .

الصلاة طهارة ورياضة وعبادة ، والصيام تزكية للنفوس ، وطهرة للأخلاق ، وصحة للأبدان وتشبه بالأطهار من عمار السماوات وعبادة لله . والزكاة رحمة بالفقراء ، وتبرئة من البخل ، وجمع للقلوب على مساعدتك ولو بالدعاء ، وحصون لحفظ مالك ودمك وعرضك من الآفات ، وعبادة لله والعقيدة التى هى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن النظير والند ، والوالد والولد ، تكسبك عزة ومجدا ، ومسرة فى الدنيا والآخرة ، وعلوا حتى لاترى فوقك إلا ربك ، وترى العالم أجمع عبيدا مخلوقين ، لافضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى . ارجع للعمل بدينك أيها المسلم تفز بما فاز به سلفك الصالح ، من التمكن فى الأرض بالحق ، ومن العزة بالحق ومن الحياة الطيبة فى سلام وأمان ونعمة وإحسان ، والله ولينا جميعا .

بالتمسك بالدين ننال المجد

سعد سلفنا بالعمل بالشريعة سعادة دانت لهم بها الدول ، ودام لنا هذا الخير ، حتى خالفنا ماكان عليه سلفنا ، فأصبحنا عالة على من كانوا أتباعا لنا ، وقد جربنا ضروب السياسات التى منها تقليدنا لأوربا تقليدا أعمى ، حتى تركنا ماورثناه عن آبائنا من الصناعات والفنون والحرف والفضائل والآداب والعوائد ، بل تركنا مالا حياة لشرقى إلا به ، من التعاون والتناصر والتعاطف والتآزر ، تشبها بوحوش أوربا ، فلم ننل خيرا ، ولم يبق إلا أن نرجع إلى ماكان عليه سلفنا الصالح ، فنتمسك بديننا ، فإنهم رجال ونحن رجال ، والدين

والحمد لله أنواره مشرقة فى بطون الكتب ، وفى قلوب أهل العلم والتقوى وهم كثير ، وفى التمسك بالدين فوز بصحتنا ، وسلامة أعراضنا ، وحفظ أموالنا ، واتحاد قلوبنا ، ولا يكلفنا ذلك إلا أن نترك ما حرمه الله مرة واحدة ، من أكل وشرب ولباس وأثاث وخصومات وعناد وحسد وطمع ، وحسن معاملة وإخلاص لله ورسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم ، وتحفظ من أعداء ديننا ، والمسارعة إلى الصلاة التى بها حفظ الصحة بسبب النظافة والأعمال البدنية فيها ، وتبادل المسرات بين الإخوان فى صلاة الجماعة ، وإلى الصيام الذى به إعادة الصحة الروحانية والجسمانية ، ونيل الصائم الرحمة بإخوانه وطهارة نفسه الأمارة بالسوء ، حتى تنبلج له أنوار الغيب المصون ؛ ونسارع إلى الحج الذى لا تخفى فوائده على المجتمع الإسلامى ، وإلى الزكاة التى بها السلام من المصائب والبلايا والقضايا فى المحاكم ، وإلى البر والصلة والعطف والرحمة والإحسان لجميع الخلق ، وبذلك يكون الله معنا يؤيدنا وينصرنا ويمكن لنا فى الأرض بالحق .

محتويات الكتاب

البـاب الثـالث

توزيـــــــــع





دار المدينة المنورة للطباعة والنشر
١١٤ شارع مجلس الشعب

رقم الأيداع ٢٣٢٩ / ٩٣

I . S . B . O .

977 _ 5273 _ 09 _ 9